قراءة في المدارس العربية اللسانية، مدرسة الجرجاني والسكاكي نموذجا.

Reading in Arab linguistic schools, Al-Jarjani and Al-Sakaky School as a model.

د/ عيواج صونيا*[1]، د/ مخلوف سعاد[2]

[1] جامعة باتنة1 (الجزائر).

[2]جامعة باتنة1 (الجزائر).

تاريخ الإرسال:2020/11/10	تاريخ القبول:2020/11/15	تاريخ النشر: 2020/12/31

ملخص:

يهدف بحثنا هذا الى معرفة أهم ما جاءت به المدرسة العربية من قواعد ونظم في اللغة واللسانيات على اعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية وأداة يتم بواسطتها التفاهم بين أبناء الشعب الواحد، وهي مجموع النظم والقواعد والأسس الصرفية والنحوية التي يقوم عليها نظام التواصل، ويتم اكتسابها ابتداء من المراحل الأولى من النمو. وأخذنا نموذج لمدرستين عربيتين اولاهما مدرسة الجرجاني والثانية مدرسة السكاكي حيث تم التناول بشيء من التفصيل.

وعلى اعتبار المختص الارطفوني إذا درس اللغة فإنه سيحاول التعرف على نظام الصرف والنحو والتراكيب والدلالة وتوظيف الكلمات مع بعضها البعض في السياق العام وبالتالي سيتعرف إذا ما كانت هذه اللغة سليمة أوغير سليمةأو هياضطراب معين في إحدى هذهالمستويات، وما توصلنا له ضرورة معرفة قوانين المدرسة العربية لتسهيل عملية تشخيص الاضطرابات اللغوية.

الكلمات المفتاحية: مدرسة عربية؛ مدرسة الجرجاني؛ مدرسة السكاكي.

Abstract: Our research aims to know what the Arabic school brought about in terms of language and linguistics, considering language as a social and tool for understanding among the people, which is the collection of morphological and grammatical systems and foundations on which the communication system is based, and it is acquired from the early stages of development. And we took an example of two Arab schools: Al-Jarjani School and Al-Sakaki School, where it was dealt with in some detail. As Al-Erfouni studies the language and tries to identify the morphological system, grammar, structures, and connotations, and employ words with each other in the general context, and he will recognize whether this language is sound or unsound, or if it is a specific disorder at one of these levels. Diagnosis of language disorders.

Key words: The Arab School ; Al-Jarjani School; Al-Sakaky School.

مقدمة:

تعتبر اللغة من أهم المواضيع في علم النفس عامة وفي الارطفونيا على وجه الخصوص لأنها تمثل الخاصية أو المظهر المميز الذي يميز الإنسان عن باقي المخلوقات، فهي عامل هام في حياة الإنسان، وفي كونها تتركز حول شتى فعالياته الفكرية والحركية والاجتماعية والنفسة والتكيفية، وتجعله يتحرر من عالمه المادي، والواقع أن

*Aiouadj Sonia,:sonia.aiouadj@gmail.com.

كل ما جعل من الإنسان كائنا إنسانا هو اللغة، فاللغة كما ذكر العالم التربوي ادوارد تورندايك: أنه أعظم ما ابتكره وأبدعه الإنسان ويرى علماء اللغة أنها في حياة الإنسان عبارة عن وظيفة function ، كما أنها عبارة عن تعلم Learning ، فهي وظيفة لأن كل كائن بشري طبيعي يستخدم لغته في الحديث والكلام من أجل الاتصال مع الآخرين أو التعبير عن أفكاره وهو تعلم لأن مجموع الرموز التي تتكون منها اللغة أو التي يمثلها الطفل تكتسب تدرجيا.

وباختلاف العلوم والعلماء والحقب الزمانية والمكانية تختلف المدارس التي تناولت اللغة وفي ورقتنا البحثية هاته ركزنا على بعض المدارس العربية وسنحاول من خلال هذه القراءة التحليلية التعرف أكثر على نظرية النظم للجرجاني ونظرية السكاكي.

1. نشأة الدراسات اللغوية ومصطلح اللسانيات:

اهتم الإنسان منذ القديم بمنتجاته اللغوية وبحث في نشأتها وتطورها على المستويين الشكلي والوظيفي ولا يخفانا أن الهنود أيضا اهتموا بالجانب اللغوي خاصة الجانب الصوتي وكان اللغوي **بانيني** ابرز الباحثين في هذا المجال وقد جاءت هذه الدراسات من منطلق الدافع الديني المتمثل في وجود الكتاب المقدس لدى الهندوس والذي ينعت بالفيدا..vida.**(احمد عزوز،2008، ص13)**

وقد نقلت عنهم هذه العبارة التي تعكس أهمية اللغة وعلومها إذيقولون. «الماء أقدس شيء على الأرض، والكتب المقدسة أكثر قداسة من الماء، ولمن النحو أ كثر قداسة من الكتب المقدسة".

لليونانيين إسهامات أيضا على يد **أفلاطون** ،**أرسطو** فقد سمو الأبجدية اليونانية حوالي ألف سنة قبل الميلاد 1000ق.م وانحصرت المعرفة اللغوية آنذاك على معرفة الكتابة والخط وأطلق عليها اسم غراما تيكوسgrammatikos ثم تطورت في القرن الثالث قبل الميلاد إلى دراسة الكلام " وميزوا بين الصيغة والمعنى (الدال والمدلول)" كما أن الحضارة الرومانية دور في تطور الدراسات اللغوية انطلاقا مما ورثته عن اليونانيين وكان لها إسهامات في الدراسة الدلالية والبلاغية خاصة ما قام بيه فارو حيث تناول قضايا نحوية جمة قسمها إلى ثلاثة مواضيع رئيسة هي: علم التراكيب ،علم الصرف وعلوم الأصول الكلمات.**(احمد عزوز،2008 ،ص62)**

رغم وجود هذا النوع من الدراسات وانتشارها إلاأن مصطلح اللسانياتlinguistique ظهر أول مرة عند الألمان ثم انتقل إلى الدراسات الفرنسية حوالي 1826م ومنها إلى بريطانيا سنة 1855م، ولم تتبلور مفاهيمه وتتضح إلا مع ظهور اللساني الفرنسي الشهير دي سوسيرf.Desaussure من خلال محاضراته التي ألقاها وجمعها ونشرها تلاميذه سنة 1916م

2. الدراسات اللغوية العربية:

سنعطي لمحة عن الدراسات اللغوية العربية من حيث نشأتها ومميزاتها والعلاقة بينها وبين اللسانيات الغربية الحديثة.

1.3نشأة الدراسات اللغوية العربية (التراث اللغوي العربي):

مع ظهور الإسلام لم يكن البحث اللغوي عند العرب من الدراسات المبكرة لأنهم وجهوا اهتمامهم إلى العلوم الشرعية يقول**السيوطي** في كتابه (تاريخ الخلفاء):"منذ منتصف القرن الثاني الهجري بدأ علماء المسلمين يسجلون الحديث النبوي الشريف ويؤلفون في الفقه الإسلامي والتفسير القرآني وبعد أن تم تدوين هذه العلوم اتجه العلماء وجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشرعية ومنها اللغة والنحو".**(احمد مختار عمر 1988.ص79،80)**

لقد نشأت الدراسة اللغوية العربية في رحاب التحول الفكري والحضاري الذي أحدثه القرآن الكريم في البيئة العربية انطلاقا من الشعور بمعجزة البناء اللغوي على المستويين التركيبي والدلالي هذا من جهة، ومن جهة أخرى رغبتهم في الحفاظ على اللغة العربية الفصحى من أن يصيبها اللحن والانحراف خاصة بعد انتشار الإسلام في أنحاء المعمورة واعتناقه من طرف الأعاجم وقد اهتمت الدراسات العربية بالأصوات، النحو، الصرف، والمعجم وحضي الجانب الصوتي لاهتمام خاص فقد قال المستشرق الألماني **برجستراسر**:" لم يسبق للأوربيين في هذه الدراسة (الأصوات)إلا قومان العرب والهنود" **(بن قادة نجاة،2014،ص6)**

2.3 مميزات الدراسات اللغوية العربية:

تميزت الدراسات المرئية بالشمولية فقد استوعبت اللغة العربية الفصحى ولهجاتها المختلفة، ووصفها عضويا دقيقا على المستوى النطقي والسمعي فتحدثوا عن مخارج الحروف ومداخلها وعن صفاتها، ونجد ذلك في كتاب العين **للخليل الفراهدي**وكذلك في مؤلفات **سيبويه** و**ابن جني** و**ابن سينا** و**الفرابي**، كما درسوا التغيرات التي تطرأ على الأصوات بسبب السياق مثل الإدغام، والاقلاب أو ما يسمى اليوم الفنولوجيا.

تناولت البحوث العربية علم الصرف (الاشتقاق، الصيغ، والأوزان) وقد كانت دراستهم تماثل ما يطلق عليه اليوم التوزيعية والمنهج القالبي**(حسام البهنساوي،2004، ص6)**.

أما النحو فقد أخذ نصيبا عظيما من هذه الدراسات حيث ظهرت مدارس نحوية كثيرة سنأتي على ذكرها لاحقا، ولقد ساهمت مؤلفاتها الهائلة في الحفاظ على اللغة العربية.

لم تغفل الدراسات العربية عن دراسة اللغة في مستواها الدلالي، المعجمي ولقد امتدت هذه البحوث من القرن الثالث هجري إلى القرن الثامن الهجري واهتمت هذه البحوث والدراسات بالظواهر اللغوية كالترادف، المشترك اللفظي،الأضداد،المعرب، الدخيل،القياس والاشتقاق،كما اهتمت بالحقيقة والمجاز والأساليب وتعد نظرية الجرجاني بؤرة الدرس الدلالي العربي.**(بوقرة نعمان،2006، ص34)**

3.3 العلاقة بين اللسانيات العربية الحديثة والتراث اللغوي العربي:

تهتم اللسانيات بدراسة اللغة بغض النظر عن الأقوام التي تستعملها ويدخل في إطارها كل اللغات البشرية بما فيها العربية. ولقد درسها العلماء الغربيون واستفادوا من التراث العربي القديم لأنه كما سبق وأن ذكرنا يتميز بشمولية وعمدوا إلى أمهات الكتب والمؤلفات العربية وترجموها ودرسوها، وقد اعترف علماء منصفون بدور التراث العربي

أمثال **تشومسكي** إذ يقول «قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت أشتغل ببعض البحوث... ومازلت أذكر دراستي للآجرومية وكنت مهتما بالتراث العربي العبري". **(بن قادة نجاه، 2014، ص11)**

يقول الحاج صالح: ومن الغريب جدا أن تكون هذه الأعمال التي لا تقل أهمية عن الأعمال أكبر العلماء المحدثين في العلوم الأخرى مجهولة تماما عند أكثر الناس بل مجهولة في كنهها وجوهرها عند كثير من الاختصاصيين المعاصرين، كما أن المدرسة الخليلية قدمت انتقادات كثيرة ومعتبرة للمدارس اللسانية الغربية وأحدثت ثورة جديدة في ميدان اللسانيات.

3. **المدرسة العربية:**

1.4المدرسة العربية القديمة:

كما قلنا سالفا أن مصطلح اللسانيات حديث النشأة فقد كانت الدراسات اللغوية تندرج تحت مسميات عديدة كعلوم اللغة، علوم اللسان وعلوم النحو، وهذا الأخير جاء نتيجة اللحن والخطأ الذين لحقا اللغة العربية جراء اختلاط العرب بالعجم بعد انتشار الإسلام فخاف المسلمون على القرآن الكريم من التحريف والتأويل الخاطئ وهكذا ظهر ما يسمى إعلام النحو.

أولا: النحو:

1. **تعريف النحو:** النحو لغة هو القصد والطريق وندرج هنا قول الأزهري:" قال الليث: بلغنا أن أبا الأسود وضع وجوه العربية وقال للناس: انحوا نحوي فسمي نحوا".**(بن قادة نجاه، 2014/2013، ص13)**

أما اصطلاحا فنورد تعريف ابن جني في كتابه (الخصائص) إذ يقول: " النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصريفه وإعرابه وغيره... ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذ بعظهم عنها رد به إليها "**(ابن جني، ص 34)**

وبالتالي فهو ضبط أواخر الكلمات إعرابا وبناءا، ووظيفته فهم مضمون النص وعناصره اللغوية، وتذوق مميزاته الجمالية، ومكوناته الأسلوبية، فهو ليس نحو إعراب وقواعد فقط.

1.1 نشأته: رغم اختلاف الآراء حول نشأة النحو إلا أن الكثيرين ينسبونه إلى أبي الأسود الدؤلي كما جاء في الكلام الأزهري ونشأ لعدة أسباب هي:

- أسباب دينية (الحرص على القرآن وأحكام الدين).
- أسباب قومية (الخوف على اللغة العربية في حد ذاتها).
- اجتماعية (دخول الأعاجم الإسلام وحاجتهم إلى تعلم العربية).
- حضرية وفكرية (توجه الفكر العربي إلى رصد ودراسة الظواهر اللغوية).

2.1المدارس النحوية:

ظهرت عدة مدارس نحوية تختلف عن بعضها في منهج البحث والتأصيل للقواعد التي تحكم الظاهرة اللغوية وتصفها.

أ. **المدرسة البصرية:**وضع أساسها سيبويه انطلاقا مما أخذه عن معلمه الخليل الفراهيدي: يعتمد البصريون في دراستهم اللغوية على الأفصح من الألفاظ والأسهل منها على اللسان فاعتمدوا في القياس على القبائل الأصيلة " واختاروا قيسا، تميما وأسدا"**(إبراهيم عبود السامرائي، 2007، ص29).**

وكانوا يأخذون الشواهد ممن يختبرون فقهه ويثقون في فصاحته وحفظه وصدقه في الرواية وأهم شواهدهم كانت من القرآن الكريم.

ب. المدرسة الكوفية: وضع أساسها الكسائي وتلاميذه انطلاقا مما تعلمه من أستاذه أبي جعفر الرؤاسي، ولقد اعتمدوا في السماع على القليل النادر وتوسعوا في أخذ الروايات دون تمحيص وتساهلوا في القياس، معظم نحاتها وأخذوا عن البصريين ثم خالفوهم وأسسوا لآرائهم واجتهاداتهم الخاصة.

ج. المدرسة البغدادية: حاولت التوفيق بين المدرستين السابقتين لأنهما كانتا على خلاف في كثير من القضايا المهمة في اللغة العربية وظواهرها النحوية، مؤسسها هو ابن كيسان وكان علماؤها يتبعون مبدأ الانتخاب (الاختبار) من آراء المدرستين السابقتين وبذلك فمنهجها هو الجمع والتوفيق والمزج بالإضافة إلى الاجتهاد.

د. المدرسة المصرية والأندلسية: لم تضف هاتان المدرستان الجديدتان الكثير إلى ما جاءت به المدارس الأخرى ولم يتعدى جهد المنتمين إليها التفصيل والاجتهاد في بعض الفروع دون المساس بالأصول.

ثانيا: مستويات الدرس اللساني العربي:

لم تختلف الدراسات العربية في تناولها للظاهرة اللغوية حسب ما سيأتي ذكره عما جاءت به الدراسات الغربية فيما يخص مستويات اللغة.

1. **المستوى الصوتي:** اهتم به العرب المسلمون لمعرفة أوجه النطق الصحيحة للحروف وضبطها في النص القرآني فوضع أبو الأسود الدؤلي النقط التي تدل على الحركات، وماهي هذه الحركات إلا علامات لخصائص صوتية. **(عبد الكريم مجاهد،2009، ص 26)**

وإن كثيرا من أحكام القراءات والتجويد هي أمور لسانية صوتية كالإدغام، الإظهار، الوقف، الابتداء، الإمالة، المدود والتحقيق... وكلها تعتمد على بيان الصفات والمخارج في الأصوات. وتضمنت المؤلفات العربية في علم النحو مباحث وأبوابا عن الأصوات أما الكتاب الوحيد الذي ألف في الدراسات الصوتية وحدها فهو كتاب: سر صناعة الإعراب لابن جني. **(بوقرة نعمان، 2006،ص26)** وأسفرت الدراسات العربية للأصوات عن النتائج التالية:

- وضع أبجدية صوتية للغة العربية (ترتيب الأصوات حسب المخرج من أقصى الحلق إلى الشفتين).

- الانسجام بين الحروف وكيفية بناء الكلمة العربية.
- تقسيم حروف العلة (أ، و، ي) إلى قصيرة وطويلة.
- تقسيم الأصوات إلى مطبقة ومفخمة.
- تقسيم الأصوات إلى صحيحة ومعتلة وميزوا صفات بعض الحروف كاللام والراء.
- تقسيم الأصوات إلى مجهورة ومهموسة باعتبار وجود الرنين (اهتزاز الأحبال الصوتية) .
- تسمية أعضاء النطق بأسمائها (رئة، حلق، حنجرة...إلخ) وقسموها إلى عدة أقسام مثلا:

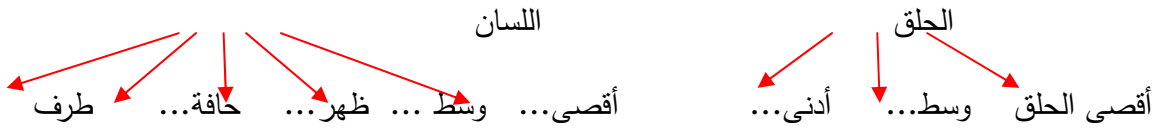

2. **المستوى النحوي والصرفي:** يدرس هذا المستوى الأصوات إذا انضمت إلى بعضها البعض وشكلت وحدات أكبر منها ألا وهي المفردات أو الكلمات، وتقسم إلى أسماء وأفعال وحروف. قال ابن مالك: " كلامنا لفظ مفيد كاستقم... واسم وفعل ثم حرف الكلم" وقال شارحه ابن عقيل:" الكلم اسم جنس واحده كلمة وهي إما اسم وإما فعل وإما حرف، لأنها إن دلت على معنى في نفسها غير مقترنة بزمان فهي اسم، وإن اقترنت بزمان فهي فعل وإن لم تدل على معنى في نفسها بل في غيرها فهي الحرف" وهذا ما يقابله في اللسانيات الحديثة (المورفيم).

يقول **ابن جني:**" فالتصريف إنها هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة الصرف". **(عبد الكريم مجاهد، 2009، ص 49)**

نفهم من هذا أن البنية الصرفية هي حلقة الربط بين الصوت المفرد في ذاته وميدانه علم الأصوات وبين الجملة التي ميدانها علم النحو ويقوم علم النحو العربي على عدة أسس هي:

- **العامل والمعمول:** يقصد به تأثير المفردة على غيرها كحروف الجر مثلا: البيت الجميل مريح، عندما يدخل حرف الجر (في) على الجملة تصبح: في البيت الجميل راحة.
- **التعليل:** يعتمد عليه العرب في تأصيل القواعد النحوية وتفسير الحركة الإعرابية.
- **القياس:** وهو إلحاق الفرع بالأصل بجامع، ويتمثل في تعليل الحكم الثابت بالنقل الصحيح خاصة من القرآن الكريم.

إذا هذا المستوى يهتم بدراسة المفردة كبنية مستقلة في ذاتها ثم ضمن البنية الأكبر منها الا وهي الجملة وما يترتب عن ذلك من تحولات وقواعد.

3. **المستوى المعجمي الدلالي:** ويشمل هذا المستوى البحث في الدلالة وهو أول تحد قرآني للعرب لبيانه وإعجازه ون2دقة ألفاظه فظهرت الدراسات حول هذا الكتاب تبحث في دلالات ألفاظه متبنية المنهج

الوصفي الاستقرائي لتتبع اللغة في ألفاظها وموضوعاتها، كان البحث في دلالة الكلمات أهم ما لفت نظر اللغويين العرب فتحدثوا عن غريب الألفاظ والمجاز وأهمية الضبط (تغيير الضبط يؤدي إلى تغيير المعنى مثلا: عَقْدٌ– عقَدٌ–عُقَدٌ)، فوضعوا لذلك المعاجم المختلفة جمعوا فيها ألفاظ اللغة العربية ورصدوا مدلولاتها المختلفة، ونجد في هذا المجال نوعين من المعاجم: معاجم الألفاظ ومعاجم المعاني ويمكن توضيح ذلك في المخطط التالي:

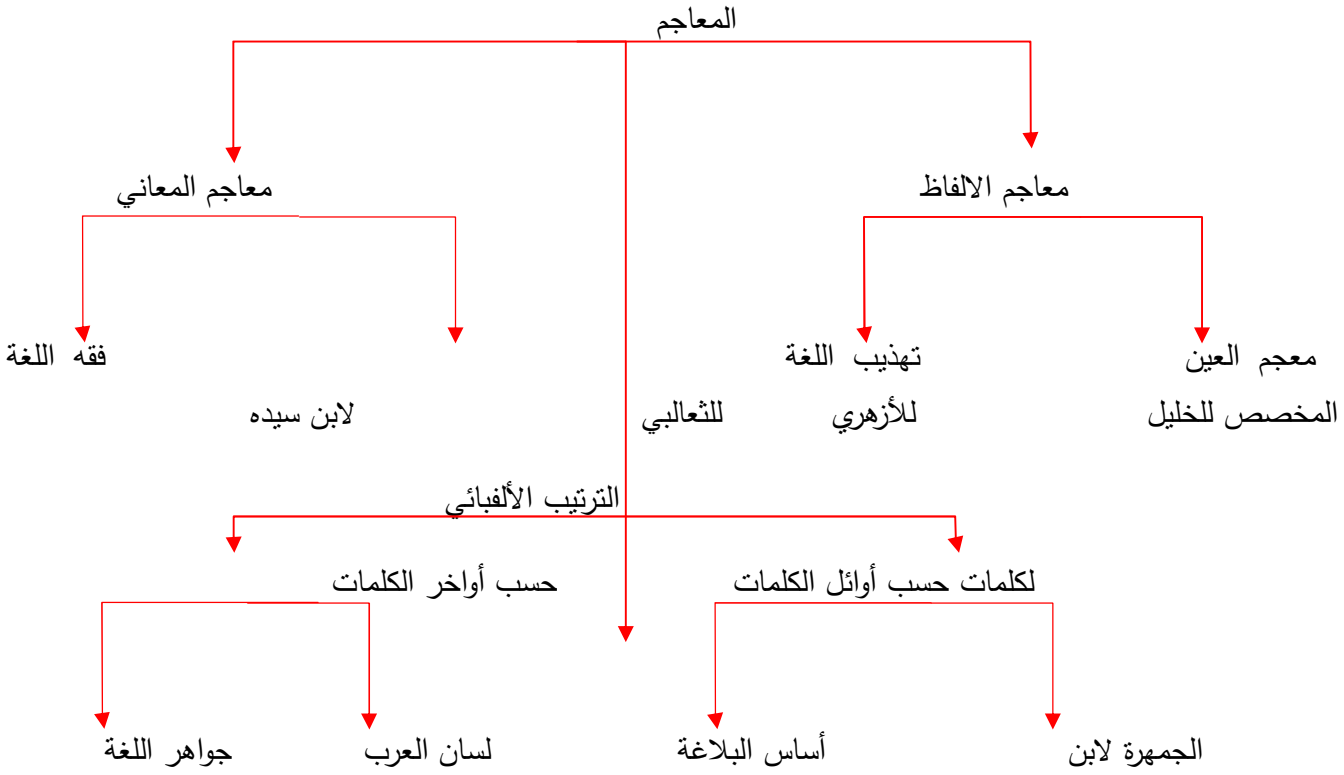

شكل 1–مخطط لأهم المعاجم العربية.**(نعمان بوقرة،2006، ص22)**

4. المدرسة اللسانية العربية الحديثة:

1.5**نظرية النظم مع الجرجاني:**يعتبر الجرجاني من أبرز اللغويين العرب الذين استطاعوا بناء نظرية لغوية واضحة، لها أصول ومناهج للتحليل، أسهمت في إبراز جمال اللغة العربية وطلاقتها ومرونتها في استيعاب المصطلحات الجديدة عبر العصور، فمن هو الجرجاني؟

هو **عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني**، ولد في مطلع القرن الخامس المجري، من أصل فارسي، من أهل جرجان شمالي إيران وتوفي سنة 471هـ.

أ. **مفهوم النظم:** اصطلح البلاغيون والنقاد على أنه تنسيق دلالة الألفاظ وتلاقي معانيها بما تقوم عليه من معاني النحو والموضوعة في أماكنها على الوضع الذي يقتضيه العقل.

أما الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز"فيعرفه على أنه "تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب بعض، والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف"

ب. الفرق بين النظم والنحو: خصائص النحو لا تحتاج إلى جهد، فهو يقتضي موافقة القواعد، والبعث عن الصواب والخطأ بموجبها، أما النظم فيقتضي حسن التعبير والنظر في الأساليب بكثير من التذوق والحسن الأدبي والسليقة السليمة.

–تهدف نظرية النظم إلى معرفة الصواب والخطأ من خلال الأساليب والمعاني، وقد طبقها **الجرجاني** على آيات من القرآن الكريم وعلى نصوص من الشعر العربي وبذلك جمع بين النظرية والتطبيق، وأعتمد في ذلك على عدة معايير هي: التقديم والتأخير، الفصل والوصل، الإظهار والإضمار، النفي والحذف وغيرها من مباحث علم المعاني.

ج. ملامح نظرية النظم للجرجاني: تواليها في النطق فقط وليس بمقتضى معنى ولا فكرة وهذا يوجهنا إلى خاصية الاعتباطية في الدليل فلا وجود لقواعد أو اعتبارات معينة تجعل واضع اللغة يختار حلافا دون غيره، على عكس الكلم الذي يقتضي أثر المعاني (ترتب الكلمات أو الألفاظ حسب ترتيب المعنى في النفس).

- ✓ **اعتباطية الدليل اللساني:** تنفي نظرية النظم وجود علاقة سببية أو حتمية بين الكلم ومعانيها يقول **الجرجاني:** «فلو أن واضع اللغة قال ربض مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد".**(عبد القاهر الجرجاني، ص49)**
- ✓ **الدال والمدلول:**لكل دال مدلول أو معنى يستحضره الذهن إذا حضر اللفظ بصورته الخطية أو الشفوية، تعتبر نظرية النظم الألفاظ أوعية للمعاني يقول الجرجاني "واعلم أن ما ترى أنه لا بد منه من تركيب الألفاظ وتواليها على النظم الخاص،ليس هو الذي طلبته بالفكر،ولكنه شيء يقع بسبب الأول ضرورة من حيث أن الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني، فإنه لا محالة تتبع المعاني في مواقعها. **(عبد القاهر الجرجاني، ص52)**

فليس من المنطق أن تعرف اللفظ موضعا من غير أن تعرف معناه، فإنها لا محالة ترتيب المعاني في أذهاننا لم تحتج لأن نرتب الألفاظ، بل نجدها تترتب لنا لأنها تتبع المعاني.

- ✓ **الجملة:**يعتبر الجرجاني الجملة الوحدة الأساسية في اللغة فمنها ننطلق إلى المعاني «وهي تشكل لغوي مستقل تتألف من مسند ومسند إليه، وهذا التأليف جار في الأشكال التي تأخذها الجملة، كما أن المعنى ينطلق منها من خلال علاقتها بالجمل في السابق «. **(بن قادة نجاة ،2014، ص83)**

تكون الجملة صحيحة عندما تكون بنيتها متوافقة مع قواعد اللغة فيصبح السكوت عنها، وفيها تتوفر الفائدة، وبهذا تؤدي الوظيفة الإبلاغية للغة.

- ✓ **اللغة ظاهرة اجتماعية:**يرى الجرجاني أن اللغة وضعت من أجل التواصل فهي ظاهرة اجتماعية لا فردية ويضرب لذلك أمثلة من الأساليب المختلفة مثلا إذا كان الكلام خبرا فلا بد من مُخْبر ومُخْبَر به وإن كان نفيا فلا بد من منفي ومنفى عنه وهكذا.

والنظم الذي أكد عليه الجرجاني يعتبر اللغة نسيجا مترابطا يؤدي غاية تواصلية.

- ✓ **اللغة والكلام:**يميز الجرجاني بين اللغة والكلام تمييزا يفوق في بحثه ودلائلهما توصلت إليه اللسانيات الحديثة، ويولي الكلام اهتماما بالغا لأن البلاغة تعتني بما ينجزه المتكلم بصفة فردية بالتصرف في عناصر النظام اللغوي والجمع بينها، ذلك أن اللغة لا تأخذ صفة الوجود الفعلي إلا بالكلام يقول الجرجاني:"الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة ولم توضع لتعرف معانيها في نفسها، ولكن ليضم بعضها إلى بعض".**(عبد القاهر الجرجاني، ص 36)**
- ✓ **تشخيص القدرات اللفظية عند الفرد:** نظرية النظم تقوم على معاني النحو ويعتبره الجرجاني السبيل الأمثل لبيان المعاني الموجودة في الكلام وبذلك فهو يهدف إلى " البحث في الظاهرة اللغوية وعلاقة الكلمة في النص بالبدائل التي يمكن أن تحل محلها"**(بن قادة نجاة، 2014)**، وهذا يدل على قدرة المتكلم على استعمال الألفاظ وتنويع مواضعها حسب ما يقتضيه السياق.
- ✓ **النحو:** يقول الجرجاني في النحو: «إذا كان قد علم أن الأغراض كامنة فيها حتى يكون المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان كلام ورجاحته حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه"**(عبد القاهر الجرجاني، ص 28)**.
- ✓ **التقديم والتأخي:**من القضايا اللغوية التي يحكمها النحو والبلاغة ويعرف الجرجاني بقوله:"... ولكن على أن تنقل الشيء على حكم إلى حكم وتجعله بابا غير بابه وإعرابا غير إعرابه".**(بن قادة نجاة، 2014)**

وهنا يميز الجرجاني بين حالتين:

الحالة الأولى:

تقديم على نية التأخير: هذا في حالة ما إذا كان التقديم والتأخير لا يترتب عليهما تغيير الحكم الإعرابي للكلمة كتقديم الخبر على مبدأ أو المفعول به على الفاعل مثلا:

- شائقا البحث أصلــها البحث شائق.

خبر مقدم مبتدأ مؤخر

- أفاد الطلاب البحث. أصلهاأفاد البحث الطلاب.

مفعول به مقدم فاعل مؤخر

الحالة الثانية:

تقديم لا على نية التأخير:في هذه الحالة يترتب على التقديم والتأخير تغيير في الحكم الإعرابي " ذلك أن نجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذلك وأخرى ذاك على هذا" **(بن قادة نجاة 2014، ص86)** مثال:

الطالب مجتهد تصبح المجتهد طالب

مبتدأ خبر مبتدأ خبر

- ويكون هذا التقديم لأغراض بلاغية كالإبراز الأهمية والعناية.
- ونجد لهذا مقابلا في اللغة الفرنسية والإنجليزية مثلا:

-L'enfant mange la pomme. → Lapommeestmangée parl'enfant.

La forme active → la forme passive

نلاحظ هنا أن المعنى تغير.

-Samia invited Dalila. → Dalila invited Samia

نلاحظ تغير المعنى

✓ **البنية العميقة والبنية السطحية:** يرى الجرجاني أن المباني الصرفية التي تحتويها اللغة وتحتاج إلى شيء آخر لتكون قادرة على جعل السامع يعرف غرض المتكلم ومقصودة، المقصود الذي هو بالتأكيد ليس معاني الكلمة المفردة، فالكلمات وحدها لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف **(بن قادة نجاة، 2014، ص 87)**

وهذا يعني أن تأليف الكلمات وترتيبها في الجملة دال على ترتيبها في الفعل، وقصد المتكلم يظهر من خلال التأليف مثلا:

واشتعل الرأس شيبا أصلها → اشتعل شيب الرأس

استعارة

بنية سطحية → بنية عميقة

- استعملت الاستعارة لتدل على أن الشيب غطى الرأس ولم يعد للسواد أثر، ونجدها كذلك في الآية الكريمة "وفجرنا الأرض عيونا"**(سورة القمر الآية 12)** إذا يمكن أن تتولد عن البنية العميقة بنى سطحية عديدة.

فعل+ فاعل+ حال.

جاء زيد مسرعا.

– جاء زيد يسرع.

– جاء زيد بسرعة.

– جاء زيد وهو يسرع.

– جاء زيد وقد أسرع.

في نهاية هذه القراءة ومن خلال ما سبق يمكن أن نخلص إلى النتائج التالية:

- ✓ لا يهتم الجرجاني بالنحو من خلال فكر الإنسان وقدراته فقط بل يهتم أيضا ببيان القدرة الإلهية والدليل أنه اهتم بالنحو والبلاغة والنقد المرتبطة بالنص القرآني لبيان إعجازه.
- ✓ لا ميزة للألفاظ منعزلة، بل قيمتها تظهر في السياق وبموقعها في جملة (النظم).
- ✓ تهدف نظرية النظم إلى الوصول بتعبيراتنا اللغوية إلى مستوى لا يحتاج إلى تأويل أو تفسير بين المتكلم والسامع، أي أننا لا بد أن نكتسب قدرة نحوية وبلاغية تمكننا من استعمال الألفاظ استعمالا سليما واعيا، يقول الجرجاني:"لا بد لكل كلام تستحسنه ولفظ تستجيده من أن يكون لاستحسانك جهة معلومة وعلة مقبولة"**(عبد القاهر الجرجاني، ص 48)**
- ✓ وأخيرا استطاع الجرجاني ببراعة إخراج النحو من المفهوم الضيق المقصور على الإعراب وجعله دليل المتكلم، يهتدى به إلى حسن التصوير وسلامة الصياغة في آن واحد.

5. المدرسة البيانية عند الجاحظ:

قبل الخوض في مفهوم التواصل عند الجاحظ نريد أن ننوه أن تجارب المدرسة العربية في ميدان التواصل تجارب مميزة وبلغت حدودا كبيرة في تحليل العملية التواصلية، ولعل مرد هذا الأمر يعود الى اهمية اللغة في الحضارة الاسلامية حيث ولع العرب باللغة واولوها عناية خاصة فكانت من أغني اللغات، وأكثرها طواعية في العملية التواصلية، دون أن ننسى العناية التي أحيطت بها اللغة العربية بعد نزول القرآن اذ انكب العلماء بحثا واستنباطا فظهرت علوم مختلفة تدور في مجملها حول اللغة.

في البدء نشير إلى أن الجاحظ لم يطلق على التواصل هذا اللفظ وإنما نجد في كتبه حديث عن البيان "وقد سلك بيداغوجية بيانية في مؤلفاته وبكيفية خاصة في كتابيه الأساسين "الحيوان" والبيان والتبين بيداغوجيا تضع السامع وأحواله النفسية موضع الاعتبار الكامل «(العربي الجابري،2009،ص 25)

البيان والتبين عملية استراتيجية تقوم على الفهم والإفهام وتركز على عناصر العملية التواصلية من متكلم وسامع وعناصر محيطة بهذه العملية.

1.6آليات التواصل عند الجاحظ:

يرتبط التواصل عند الجاحظ أو البيان كما يسميه بمجموعة من العناصر إذ ورد يقوم على عناصر ذهنية وأخرى نفسية تبعا للمعاني يقول الجاحظ " المعاني قائمة في صدور الناس متصورة في أذهانهم، ومتخلقة في نفوسهم (....) لا يعرف الانسان ضمير صاحبه ولا حاجة أخيه "(الجاحظ، ص 75) قبل ان يتكلم وقد استخدم لفظ البيان وعرفه كما يلي:" البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهناك الحجاب دون الضمير حتى يقضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان (...) لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري

القائل والسامع،إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع (الجاحظ، ص 76).

من القول الوارد أعلاه نستنتج أن البيان يعني أساسا بالفهم بالإفهام ويركز على القائل والسامع ويربط السامع بالفهم والقائل بالإفهام، فاتحا مجال التواصل على مصراعيه حيث لم يركز على آلة التواصل إذ يقول إن أي شيء بلغت به الإفهام فذلك هو البيان.

وقد حدد "أصناف الدلالات على المعاني من لفظ في خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ، ثم الاشارة، ثم العقد، ثم الحفظ، ثم الحال التي تسمى نصبة"(الجاحظ،ص76).

أ- **اللفظ والتواصل:** «لا يستقر اللفظ في مؤلفات الجاحظ على معنى بعينه فهو يتقلص حتى لمكر حصر دلالته في الكلمة المفردة ويتمدد في سياقات أخرى ليصبح دالا لا على اللفظ فحسب بل على نطق الانسان وكلامه ولن يكون ذلك الا بظهور الصوت،" والصوت هو آلة اللفظ (...) ولن تكون حركات اللسان لفظا إلا بظهور الصوت.

وقد حضي التواصل اللفظي بأهمية بالغة عند الجاحظ لعدة أسباب يحددهم بأن "الحاجة إلى بيان اللسان حاجة دائمة واحدة وراهنة ثابتة كما أنها تمنح المتكلم حجة الافصاح وتوضيح الدلالة مما يجعل الأعناق إليه أصيل والعقول أفهم والنفوس إليه أسرع.(الجاحظ، ص7).

"إن تحليل الجاحظ للعلامة المنطوقة (اللفظ) " يبدأ من الكشف عن طبيعتها الفيزيولوجية والفيزيائية، وقد أشار إلى جانبها الفيزيولوجي في خضم حديثه عن الكلام واللسان، فالكلام عنده هو خروج الصوت من الجوف وعلى جهة تقطيع الحروف وإعمال اللسان والشفتين وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام ثم إن الإنسان يضيف الجاحظ متى أدار لسانه في جوبة الفم بالهواء الذي يحضره جماع الفم حدث الصوت "(الجاحظ،ص34) وأما اللسان فإنه يصنع في جوبة الفم وهوائه الذي في جوف الفم وفي خارجه وفي لهاته وباطن اسنانه" (الجاحظ،ص35) وهذا ادراك واضح بأن العلامة اللغوية المنطوقة تكون نتيجة خروج الهواء من الرئتين مرورا بأعضاء النطق ليصل في الاخير الى اللسان والشفتين أما الجانب الفيزيائي للصوت عامة والصوت اللغوي خاصة فقد كشف عنه الجاحظ عندما قال "الصوت عرض لا يحدث من جوهر إلا بدخول جوهر آخر عليه".

إلى جانب حديث الجاحظ عن طبيعة اللفظ تحدث أيضا عن العيوب التي تصيب المتكلمين وتحول دون نجاح العملية التواصلية وقد حددها بما يلي:

الحبسة: وهي الثقل الذي يمنع من البيان.

اللثغة: وهي أن يقوم المتكلم بإبدال الحرف الأصلي في الكلمة بحرف آخر، وأهم الحروف التي تدخلها اللثغة حسب الجاحظ هي (ق، س، ل، ر).

اللكنة: وهي ادخال بعض حروف المعجم في حروف العرب.

اللحن: وهو الخطأ في تحريك حروف الكلمات.

وهذه الامراض ان أجاز لنا القول –التي نعتري العلامة ساعة تلفظها تؤدي إلى الحط من قيمتها التواصلية.

ب. **الاشارة الجسدية والتواصلية:**"تجدر الاشارة الى ان مفهوم الاشارة عند الجاحظ ترتبط بثلاث سياقات:

- ✓ تشير إلى الحركات الجسدية المصاحبة لعملية التلفظ والمساعدة على التبليغ.
- ✓ تشير إلى الحركات أو أوضاع جسدية غير مصاحبة لعملية النطق.
- ✓ تشير إلى استخدامات لعناصر خارجية وغير مرتبطة بالجسد ولا بحركاته بل إنها تدل فيه على مختلف أشكال التعبير الاجتماعي والثقافي مثل حمل العصا وطريقة اللباس وعليه يمكن تقسيم الاشارة وفق ما يلي:

الاشارة

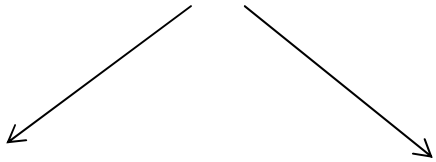

اشارة ثقافية(اللباس،حمل العصا) (اشارة مصاحبة للفظ او غير مصاحبة الخطيب)

من امثلتها حركة اليد تحريك الراس تحريك العنق الشفاه

من **وظائف الاشارات:** مضاعفة قنوات بث الخطاب ومن ثم مضاعفة حظوظ الفهم والافهام تعويض اللفظ والحلول محله.

تعلق كل أفكار الغير إما تأكيدا أو عجزا أو رفضا أو سخرية تمتزج مع اللفظ للتعبير عن خاص.

أما الاشارات غير المصاحبة للفظ فتشمل الاشارات التي يلجأ إليها الانسان بهدف التواصل مع الناظر أو ابلاغه أحاسيسه وخلجات نفسه، فإنها لغة أخرى تشبه اللغة المنطوقة في جوهرها التواصلي.

وتبرز فعالية الاشارة كأداة تواصلية في الحالات التي يعجز فيها الصوت عن بلوغ آذان المتخاطبين نتيجة الضوضاء وكثرة الاصوات واختلاطها على السامع.

بعد قراءتنا لما جاءت به المدرستين وعلى اعتبار أن الارطفونيا تهتم بالاضطرابات الخاصة بالاتصال واللغة الذي هو موضوع اللسانيات بالإضافة إلى اهتمامها بعلم الأصوات الوظيفي والأصوات العامة (دراسة الأصوات البشرية من حيث تقطيع الحروف وتركيبها) فهي علم ضروري يعتمد عليه الأرطفوني في إعادة تربية الإضطرابات حيث عندما نلاحظ اضطرابا لغويا عند مريض ما يسعى إلى تحليله ثم يبدأ في استنساخه ويسجله حسب ما سمعه وما نطق به المريض ومن خلال الثغرات الموجودة في تلك المدونات يستطيع الأرطفوني أن يسطر نوع إعادة التربية فاللسانيات تهتم بدراسة اللغة من حيث الصوت وسيرورة التواصل ودراسة الخصائص الفيزيائية للصوت فنحدد طابعه، ونبرته وحدته وإيقاعه كما تهتم بدراسة انساق أصوات اللغة الطبيعية ووظيفتها داخل انساق الاتصال اللغوي.

ومن أهم تخصصات اللسانيات التي لها علاقة وثيقة بالارطفونيا نجد:
الفونيتيك والفونولوجيا حيث لهما نفس موضوع الدراسة وهو الأصوات ولكن يختلفان في أسلوب تناول ومقاربة هذه الأصوات، فالفونيتيك عامة تهتم بالأصوات من الناحية الفيزيائية دون الاهتمام بوظيفتها في لغة معينة وهي أيضا وصفية تصنيفية، أما الفونولجيا فهي خاصة بلغة أو لغات معينة ووظيفية أي تنظر في وظيفة أو عمل أو ميكانيزمات الأصوات في لغة واحدة أو عدة لغات.

أ-**الفونيتيك:** يسمى أيضا علم الصواتة أو علم الأصوات العام، يهتم علم الفونيتيك بدراسة اللغة الصادرة بواسطة الصوت وسيرورت التواصل المنطوق ودراسة الخصائص الفزيائية لصوت فتحدد طابعه ونبرته (نغمته) وحدته وإيقاعه...وغيرها.

والفونيتيك له ارتباط كبير مع الارطفونيا ففي حالة اضطرابات النطق لابد من إيضاح الطريقة التي ينطق بها المريض أصوات اللغة ومعرفة اين تكمن اضطرابات النطق عنده.

ولكي يستطيع الأرطفوني القيام بهذا لابد من أن يلم بمعارف كافية في الفونيتيك بمختلف فروعها.

ب-**الفونولوجيا:** ويسمى أيضا الفونيتيك الوظيفية أو علم الأصوات الوظيفي وهي الدراسة العليمة لأنساق أصوات اللغة الطبيعية وتتمثل في بحث ودراسة أصوات اللغة من جهة نظر وظيفتها داخل انساق الاتصال اللغوي.

والفنولوجيا هو تحليل الاستعمالات المتنوعة لجملة الأصوات الوترية في لغة معينة ووضع انساق تقابل سمات هذه اللغة (نظامها اللغوي)

وكما يلاحظ فإن الفونيتيكوالفونولجيا لها نفس الوضع وهو الأصوات ولكن يختلفان في أسلوب تناول ومقاربة هذه الأصوات فالفونيتيك عامة تهتم بالأصوات من الناحية الفيزيائية دون الاهتمام بوظيفتها في لغة معينة وهي أيضا وصفية، تصنيفية أما الفنولوجيا في خاصة تأخذ لغة أو لغات معينة ووظيفية أي تنظر في وظيفة أو عمل أو ميكانيزمات الأصوات في لغة واحدة أو عدة لغات وتعتمد الارطفونيا على الفونولوجيا لما تكون أمام حالة تأخر في الكلام فيستدعي حينئذ إجراء حوصلة فونولجية.

وحسب حليمة قادري (2015، 24) الفونولوجيا هو مكمل النظام الصرفي ونظام تركيب الجملة يعمل على دراسة وظائف تلك الأصوات في اللغة، والقواعد التي تطبقها لكي تعطي تركيبات ذات معنى، ومن خلال هذا التخصص يمكن للأرطفوني أن يعرف إن كان الفرد أثناء خطابه قادر على احترام التراكيب اللغوية وسلامة النحو أثناء الحديث.

6. الخاتمة:

من خلال ما تقدم من القاء الضوء على اهم الجوانب التي تغطي نشأة اللغة ومختلف ما جاء في المدرسة العربية وخاصة ما تمت دراسته في مدرسة الجرجاني والجاحظ فقد اختلف العلماء عبر العصور في تحديد نشأة اللغة وأصل الكلام مما أدى إلى ظهور عدة مدارس وما من مدرسة إلا ولها معارضون يحاجون الطرف الآخر بالحجة والبرهان وهذه النظريات تفتقر إلى الأدلة الموضوعية ولذلك نقول لمن يقولون في تواضع اللغة واصطلاحها الى أن الأدلة في تسمية الأشياء بأنه لا توجد علاقة بين منطق الشيء واسمه، أما اللذين يقولون بالتوفيق والإلهام فنقول لهم، كيف يتعلم الإنسان ألفاظا ولا يتعرف على مدلولاتها، لذلك لا بد من التداخل بين كل المدارس التي تبحث في اللغة ونشأتها، لنخرج بنظرية واحدة هي كون اللغة نتاج تفاعل الإنسان بالذكاء والغرائز والحاجات المتصلة بالطبيعة

والذي يعيش ضمن جماعة، الأمر الذي يساهم في نمو لغته عبر العصور والتي تتناقلها الأجيال وتضيف إليها من خلال التفاعل والتواصل مع المحيط.

قائمة المراجع العربية:

1. **القرآن الكريم.**
2. إبراهيم عبود السامرائي،(2007). **المفيد في المدارس النحوية**، الأردن، دار الميسرة.
3. ابن جني، (د ت). ترجمة محمد علي نجار،**الخصائص**،بيروت، دار الكتب.
4. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (د ت)، **البيان والتبيين**،بيروت، دار الكتب العلمية.
5. أحمد عزوز، (2008).**المدارس اللسانية أعلامها ومبادئها** . دار آل رضوان . وهران، الطبعة الثانية.
6. أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**،القاهرة، عالم الكتاب، ط6، 1988.
7. العربي الجابري، (2009)، **بنية العقل العربي، دراسة تحليلية لنظم المعرفة في الثقافة العربية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيت النهضة، شارع البصرة، ط9.
8. بوقرة نعمان، (2006).**محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة**، عنابة، منشورات جامعة باجي مختار.
9. بن قادة نجاة، (2014). **الجذور اللسانية العربية في اللسانيات الغربية الحديثة**، دراسة مقارنة بين الجرجاني وتشومسكي، مذكرة نخرج لنيل شهادة الماستر، الجزائر.
10. حسام البهنساوي، (2004). **التراث اللغوي العربي وعلم اللغة الحديث**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1.
11. حليمة قادري،(2015). **مدخل الى الارطفونيا**، دار صفاء للطباعة، الجزائر.
12. عبد القاهر الجرجاني، (د ت). **دلائل الإعجاز**، تح: محمود محمد شاكر، القاهرة، مكتبة الخانجي.
13. عبد الكريم مجاهد، (2009).**علم اللسان العربي فقه واللغة العربية**، عمان، دار أسامة.